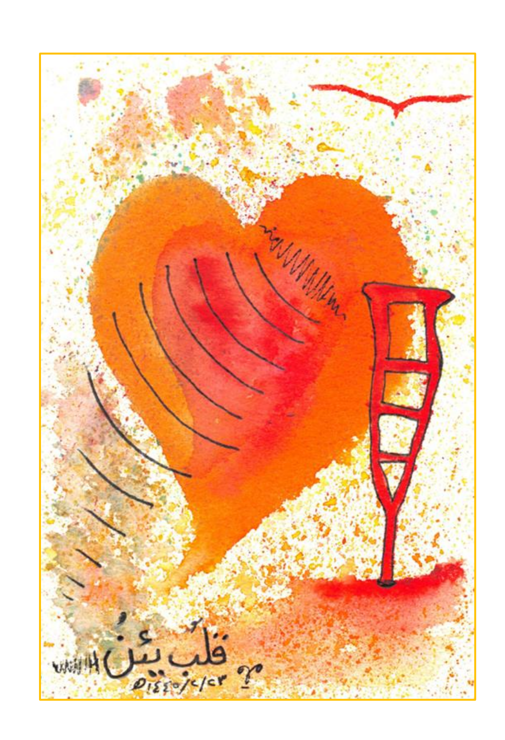
قلبي يئن

حلمي صابر – صفر 1445هـ



فرِحٌ بك

لا أعرفك ولا تعرفينني

لكنكِ في مخيلتي

هل رأيتي على وجه طفل ابتسامة فرح

وعيناه تضحك

وخده منشرح منبسط عند طرفي شفتيه من ابتسامته مائل مرتفع

يقول وجهه: أنا بكِ فرح

هل مرَّ عليك مثل ذلك الطفل

إن لم ، فأنا ذلك الطفل

لكنني يا ابتسامتي

أنا اليوم أئن

ولا أريدكِ أن تسمعي أنيني

فما عدت ذلك الطفل

ربما تريدينني أن أضحككِ

واستطيع أن أفعل

ولأضحكك ، عليَّ أولا أنْ أضحك

وكيف أضحك

وهل يضحك من يئن ؟!

تريدينَ ضحكي أنْ يخففَ عنك ما بك ، وعمَّا بكِ يرفعُ

لا تريدين أن تسمعين أنيني

فلا يعنيك أنيني ، حتى أنينك يئن ، أغلبنا يئن ، ومن ذا الذي لا يئن

الحياة ممزوجة بالسرور والكدر

ومن عجائبها أن يكون الموت فيها أحيانا سرورا

والحياة فيها هو الكدر

هذه هي الحياة ، هي محطة لانتقال أخير

وطالما أنت لا زلت في المُتَنَقَل ، فستئن

انظري سببَ أنيني:

الظالم ظلمني وأمر بحبسي

والظالم الذي سرقني ، والذي أخذَ أرضي وبيتي ، أيضا، حبسَ أبي و أخي

حكم القاضي للظالمِ بالبراءة

الظالم هو القاضي وهو المدير وعدالته بحاجة إلى ميزان مستقيم وعدالة

اتهموني بإثارة الفوضى

وأنا حتى للغبار عليه لم أنفخ

والذي قَلَبَ الأرضَ وأثارَ الغبار ، وسرقَ وهَدمَ البيت والعمارة

حكم له القاضي بالبراءة

كيف أضحك يا أنيني

جئتُ عندكِ وسألتُ عنكِ لأخففَ ما بي

إذ لهيب القهر له في الصدر حرارة

وطعْمُ الظلمِ له على الكبدِ مرارة

فكرتُ في الانتقام منه، ليهدأَ الغضبُ وانفعاله

صوت الغضب له ضجيج

ومندهشا : هل ما فعله هذا حقيقي ! أنا مسكين وهو القوي ؟!

صامتٌ ، خائفٌ أن يرسلَ عليٌّ قبل الفجر رجاله

بلعتُ خوفي ، حتى أنني أرسلتُ له ما بقي في البيت وأثاثه

قلت له : معذرة نسوا رجالك أن يأخذوا هذا !

أقاوم فكرة الانتقام

وأفكر في المصير والعواقب

وأتامل فعلْ الرسول ﷺ مع اليهود والمنافقين ومع قريش عند فتح مكة ،

ولم يرضَ ﷺ على أهل الطائف بصك الجبلين عليهم

عفا عنهم ﷺ وهو القوي

فعسى من يجيء يوما ، ينصفني

عجبًا ! كيف لا يخافُ الظالمون : دُعاءَ الليل من أمٍّ ثكلى وأبٍ مكلوم على ولدٍ مظلوم ؟!

العاقل ، يفكرُ قبل أن ينفذ

والأحمقُ الغاضب ، ينفذُ ثم يفكر

ويصير بعد زوال غضبه ، في حسرة وندامة

خطأ عظيم أن يطيعَ المرء غضبه وانفعاله

فهذا الذي جعلني اصمت ، واسترجعتُ واستعنتُ بالصبر والصلاة

وهما مفتاحا الرحمة والهداية

ثمة أمر آخر

من أنتِ ؟!

أنت خيالُ في خيالي

أنت خيالٌ ، لا حقيقةَ لكِ

خذيني معك

ضعيني في حقيبة يدك

أنسيني نفسي

لا أريد أنا

خائف ؛ أن يكون في عينيها الزيتونتين عذابي

ويصير الفرح بها ،

وهْمًا ، وحزنا جديدا على أحزاني

وتضيعُ معها كل أفراحي

اعذريني

غابَ ذلك الطفل

وتذكرتُ الظالمَ الذي سرقني وهو غني

ولم يبقَ في بيتي ما كان معي

كل العالم هكذا ؛ فنحن بحاجة إلى نبي

أقولُ : تذكرتُ يائسا كل هذا

فرجعَ أنيني يئن

وصحوتُ من أوراقي

وعرفتُ أنك خيالا جئتني من خيالي ، وأدركتُ أنني بمفردي

فزاد أنيني

_________ انتهى _________